



هل نطمح أن نرى جيلاً كصاحب النقب يحمل روحه على راحته ويلقي بها في مهاوي الردى؛ خدمة لدين الله وإعلاءً لكلمته
راجياً بذلك ماعند الله، ولا يريد من أحد سوى الله جزاءً ولا شكوراً؟

اسأوا الصحراء يا من كان عنا غافلين *** وابحثوا في جوفها تلقوا أسوداً راقدين

تذكر كتب التاريخ قصة مسلمة بن عبد الملك، أحد أبطال الفتوحات في المشرق مع صاحب النقب، حيث حاصر مسلمة حصنًا واستعصى على المسلمين فتحه، فندب الناس -أي أرشدهم ودلهم- إلى نقب منه، لعل أحدًا منهم يدخل منه ويقاتل في الداخل ويفتح أبواب الحصن لل المسلمين، فما دخله أحد فجاء رجل من عرض الجيش، فدخله ففتحه الله عليهم: فنادى مسلمة: "أين صاحب النقب؟" فما جاء أحد. فنادى: "إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلا جاء؛ فجاء رجل فقال: "استأذن لي على الأمير". فقال له: "أنت صاحب النقب؟" قال: "أنا أخبركم عنه"، فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأنذن له، فقال: "إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلثاً: ألا تُسَوِّدُوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمرروا له بشيء، ولا تسألهونه، قال مسلمة: "فذاك له"، قال: "أنا هو". فكان مسلمة لا يصلي بعده إلا قال: "اللهم اجعلني مع صاحب النقب".

هكذا خل التاریخ ذکر مسلمة في الفاتحین، ومع ذلك یدعو بعد كل صلاة أن يحشره الله مع صاحب النقب الذي كان سببًا في فتح الحصن، ولم یعرف التاریخ اسمه ولا قبیلته -وما ضرہ ذلك-. ولم یکن یرید ذلك لأن الإسلام علمه أن يكون في الصدارۃ والقيادة والریادة في أداء العمل {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} [البقرة من الآیة: 148].

وعلّمه كذلك ألا یطلب محمدًا من أحد مهما كان وأن يكون عمله صالحًا خالصًا لله تعالى لا يُرائي به أحدًا من الخلق، وأن يكون عند توزيع الغنائم وملحقاتها في الصنوف الخفية، ليس لأنّه لا یريد مقابلًا على عمله، بل هو یطمح إلى أكبر من ذلك؛ ولكن الإسلام العظيم علمه أن لا یطلب ذلك إلا من خلقه وأمره بذلك العمل ويسّره له وهو الذي يجزي عليه الجزاء الأوفى، هكذا أنبت الإسلام الرجال العظام وزرعهم:

تعهدهم فأنبتهم نباتاً *** كريماً طاب في الدنيا غصونا
هم وردوا الحياض مباركات *** فسالت عندهم ماء معينا
إذا شهدوا الوغى كانوا كماماً *** يدكون المعاقل والحسونا
وإن جنَّ الظلام فلا تراهم *** من الإشراق إلا ساجدينا

إلى أن يقول:

ولم یتشدقوا بقشور علم *** ولم یتقلبوا في الملحدينا
ولم یتبحروا في كل أمر *** خطير كي یقال مثقفونا
ذلك أخرج الإسلام قومي *** شباباً مخلصاً حرًا أمينا
وعلمه الكرامة كيف تُبني *** فيأبى أن یُقیدَ أو یهوننا

دعوني من أمان كاذبات *** فلم أجد المنى إلا ظنونا
وهاتوا لي من الإيمان نوراً *** وقووا بين جنبي اليقينا
أمد يدي فأنتزع الرواسي *** وأبني المجد مؤنثًا مكينا

هكذا أخرج الإسلام جيلاً یستوي عنده المادح والقادح، لأنّه یعلم أنّهم لا یملكون من الأمر شيئاً، وأنّ الأمر كلّه بيد الله، فتوجه

إليه وحده بقلبه وقالبه، وسجل أعظم الإنجازات في سجلات المجد والرفة ورغم بصدق أن يكون حمله للوائها والإعلان الكبير لمنجزاته بطريقة أخرى مختلفة وعلى رؤوس الأشهاد جميعاً؛ فهانت عليه الدنيا بكل ما فيها ولم تعد تعدل عنده جناح بعوضه.

يقول ابن القيم رحمة الله: "إن الله إذا أراد بعبدٍ خيراً سلب رؤية أعماله الحسنة من قلبه والإخبار بها من لسانه، وشغله برؤيه ذنبه، فلا يزال نصب عينيه حتى يدخل الجنة، فإن ما تُقْبَلَ من الأعمال رُفْعَ من القلب رؤيتها، ومن اللسان ذكره".

فهل نطمئن أن نرى جيلاً كصاحب النقب يحمل روحه على راحته ويلقي بها في مهاوي الردى؛ خدمة لدين الله وإعلاءً لكلمته راجياً بذلك ما عند الله ولا يريد من أحد سوى الله جزاءً ولا شكوراً؟؟.

تُرِى هل يرجع الماضي فإِنِّي *** أذوب لِذَلِكَ الْمَاضِي حِينَنَا

أسأل الله لي ولكم من فضله العظيم.

طريق الإسلام

المصادر: